الجيش الايراني: أي دور يهيئون له؟

توجهت جماهير الشعب الايراني الى صناديق الاقتراع في نهاية الاسبوع الماضي، لتنتخب « مجلس الخبراء » الذي ستكون مهمته المصادقة على الدستور الاسلامي الجديد . وكان الاقبال كبيرا برغم مقاطعه عدد من الاحزاب العلمانية واليسارية .

ولوحظ ان البؤر الساخنة ، خصوصا كردستان وخوزستان ومريوان وكوبندكاووس ، شهدت اقبالا كبيرا على الانتخابات لوحظ ايضا ان اقبالها كان على المرشحين الذين لا ينتمون الى الحركة الاسلامية، رغم ان النتائج اظهرت فوز اكثرية موالية لقيادة الامام اية الله الخميني .

ولكن بينما كانت انتخابات مجلس الخبراء تستأثر باهتمام جماهير الشعب الايراني واهتمام القيادة الدينية الايرانية ، وحتى الاحزاب المقاطعة للانتخابات كانت جماهير البؤر الساخنة في اقاليم الاقليات العربية والكردية لا تترقب نتائج هذه الانتخابات بقدر ما كانت تترقب اشتعال اشتباكات هنا وهناك ، بين انصار دعاة الحكم الذاتي للاقليات وبين قوات الجيش الايراني والحرس الثوري الاسلامي ، او ابرام اتفاق لوقف اطلاق النار هنا، وسقوط اتفاق لوقف اطلاق النار هناك ، بين ممثلي هذه الاقليات وممثلي السلطة الدينية . فمشكلات الاقليات التي لم تجد حلا لها بعد ، او حتى مشروع حل من جانب القيادة الدينية ، تتفاقم يوميا ، وقد باتت تشكل احد الاخطار الاساسية على الثورة الايرانية . ولا يتحمل مسؤولية هذا التفاقم الخطير الحصار الغربي للثورة الايرانية وحده ، بل والقيادة الدينية ، والى حد ايضا ، قيادة هذه الاقليات .

لقد كان من الطبيعي لدى سقوط حكم استبدادي مثل نظام الحكم الشاهنشاهي في ايران ان يتفجر اهل الاقليات برفع المظالم عنها على يد قيادة ثورة اسقطت الطغيان وهي ترفع شعاراتها المناهضة للديكتاتورية والداعية للحرية وللعدالة. وكان من الطبيعي ان تقوم هذه الاقليات ، العربية والكردية ، بالمطالبة بحكم ذاتي بعد حقب من الاخضاع والاضطهاد والقمع . ولكن بقدر ما ظهر من عدم وضوح لمفهوم الحكم الذاتي لدى السلطة الدينية ، بقدر ما ظهر ايضا قصر نظر لدى بعض قادة الاقليات الذين ما استطاعوا تقدير مدى تعرض الثورة الايرانية للقوى المعادية

الامام آية الله الخميني : الاقليات راهنت على شعارات الثورة .

لها التي لا تقف مكتوفة الايدي ازاء ايران منذ سقوط الشاه - وبالتالي تقدير ما يمكن ان يلحقه ضغط هؤلاء القادة الشديد على طهران ، من اضعاف للحكم الجديد ، ومن تعريض لضربات الثورة المضادة ، التي ان نجحت في تحقيق مآربها فانها لن توفر هذه الاقليات ، التي ستكون من اولى ضحاياها .

لقد ظهر عدم وضوح مفهوم الحكم الذاتي لدى السلطة الدينية في الكيفية التي تعاملت بها مع مطالب هذه الاقليات وتحركها الضاغط . والدعوة الخمينية لهذه الاقليات بالوحدة تحت راية الاسلام كانت تطلق كرد سلبي على مطالب الحكم الذاتي في كردستان وخوزستان ، وتعكس تفسيرا « انفصاليا » للحكم الذاتي ، رغم ان اي دعوة او مطلب بالانفصال ، لم تطلقه هذه الاقليات . هذا بالاضافة الى الايحاءات الواضحة والضمنية، التي كان يطلقها بعض قادة السلطة الدينية ، والتي توصم تحرك الاقليات بمناهضة الثورة الايرانية وسقوط هذا التحرك كاداة في ايدي الثورة المضادة .

هذا الابهام وسوء تفسير تحرك الاقليس الكردية والعربية ، دفعا السلطة الدينية الى انتهاج خط اراءها لا يعرض فحسب . مصداقية شعارات الثورة الايرانية ، بل يدفع بهذه الاقليات دفعا نحو التطلع الى الانفصال ، وبالتالي الى تصعيد تحركها ، وخلق « بطن رخو » للحكم الايراني الجديد ، يجعله أكثر عرضة لمحاولات الالتفاف الامبريالية والرجعية ، على الثورة . وبالفعل فقد علق احد كبار المسؤولين الحكوميين في طهران على احداث كردستان وخوزستان بقوله:

« هناك خطر فظيع من ان يكرر السارسح نفسه . سفك الدماء والانتقام في اليوم الارعس من الحداد - هذا التقليد الاسلامي جرف الارض في النهاية من تحت عرش الشاه . ولسنا أقل منه تعرضا اليوم » .

فقد تحولت مناطق في كردستان وفي خوزستان، الى بؤر ساخنة ، في اثر لجوء السلطة الدينية المتزايد نحو استخدام القوة العسكرية لقمع تحرك الاقليات من اجل الحكم الذاتي . وكانت الامور قد بدأت باشتباكات بين انصار الحكم الذاتي وبين الحرس الثوري الاسلامي ، الذي اعسر المطلب معاداة للثورة . وتطور الامر الى لجوء السلطة لاستخدام القوة العسكرية لقمع تحرك الاقليات ، ثم الى استخدام سلاح الطيران لقصف مناطق التوتر ، بحيث لم يعد من الصعب على المناهضين للثورة تصوير الوضع وكأنه استمرار للنهج الشاهنشاهي وايجاد الاذان الصاغية لتقبله . وادى من جهة اخرى ، قصر نظر بعض قادة الاقليات ، الى ممارسة ضغوط ملحة وشديدة ، من خلال تحريك جماهيرهم ، على السلطة الوطنية الايرانية ، في الوقت الذي تتعرض فيه هذه ، لمحاصرة كافة الدوائر الغربية وادى ذلك بدوره ، الى دفع هذه السلطة نحو القبول التدريجي بفكرة استخدام القوة لقمع ما بات يسميه العسكريون الايرانيون بالقلاقل والاضطرابات في الاقاليم ، ويتحدثون عن مسؤوليتهم في اعادة الامن والنظام في هذه المناطق ، في الوقت الذي كان يتوقع فيه ان تكون السلطة الدينية هي التي تتحدث عن طرق معالجة مسألة الاقليات والتوصل الى حل سريع الفتائل عن براميل بارود تسعى القوى المعاوئة للسلطة الوطنية في ايران ، الى تفجيرها .

العقلية العسكرية التقليدية

فالجنرال رحيمي قائد الشرطة العسكرية الذي يتمتع بثقة الامام اية الله الخميني، عكس هذا التوجيه المثير للقلق ، بوضوح لا لبس فيه . فقد رد على استفسار « ديوزويك » الاميركية عن رأيه باحداث خوزستان وكردستان وما يبدو من « عجز الجيش » الايراني ، عن وقف ما يهدد بثورات اقليمية ، فقال :

« يخطيء من يظن اننا لا نستطيع السيطرة على الوضع . فنحن حتى الان استجبنا بشكل لطيف للقلاقل . فلم نستخدم سوى الاسلحة الخفيفة في الاصطدامات التي وقعت ، لكن لدينا اسلحة ثقيلة كثيرة . لدينا طائرات . والجيش يملك القدرة . لهذا السبب اشعر باللهفة لضمان انتشار النظام واعادة بناء الجيش » . (!)

اذن ، الامر قلاقل ، والحل باستخدام القوة العسكرية حتى حدود القصف بالطائرات . وبالفعل ، فقد تبجح الجنرال رحيمي قبل اسبوعين ، بانه يستعد لارسال قوة من ٣٠٠٠ رجل تحت امرته ، الى خوزستان ، من اجل « اعادة النظام » في اوساط الثائرين العرب ... وكان رد ابرز زعيم ديني لعرب خوزستان - الشيخ الخاقاني ، ان على رحيمي اذا اراد ان يفعل ذلك ، ان يبدأ بالتفكير على صعيد مواجهة ١٢ الف رجل او اكثر ... (!)

ان هذا بالضبط ما ترجوه الدوائر الغربية المتربصة . وهي تنظر برضا الى امعان القيادة الدينية في استخدام القوة العسكرية لقمع تحرك الاقليات ، والى امعان بعض قيادات هذه الاقليات في تشديد الضغط على السلطة الوطنية في الوقت الذي تشعر فيه هذه السلطة بضغط الحصار وبالخطر المحيق بها . اذ ان هذين الخطين يؤديان الى تفاقم احد المشاكل الاساسية التي تواجه السلطة الوطنية . وهذا التفاقم من شأنه ان يعزز دور الجيش الايراني الذي يعاد بناؤه على الاسس التقليدية ، وعلى يد نفس العقلية العسكرية التقليدية التي كانت سائدة في العهد الشاهنشاهي البائد ، والتي يمثل الجنرال رحيمي احد رموزها ، رغم ولائه المعلن للقيادة الدينية ولقيادة الامام اية الله الخميني تحديدا.

وهذا الجيش الذي يعاد بناؤه كوحدات مقاتلة تقليدية ، مدعوم في هذا الاتجاه من حكومة بازركان ، وخاصة على صعيد جهود قادة هذا الجيش لاعادة الجنود الى الثكنات ، بمعنى عزلهم عن الساحة السياسية . وبالفعل ، يتحدث الاعلام الغربي بارتياح واضح عندما يشير الى ان اعادة بناء الجيش على الاسس التقليدية « قد اصبح احد المجالات القليلة التي تنفذ فيها السياسات المدروسة للحكومة ، تنفيذا كاملا » (« الفاينشال تايمز » اللندنية ، ١٧ تموز ، ١٩٧٩) . ورغم الغاية المفهومة للاعلام الغربي من وراء تركيزه على ان في ايران سلطتين او حكومتين ، فان جزءا من الحرب النفسية التي يشنها على ايران باسم المصالح الغربية التي يمثلها ، هو تصوير الوضع القائم وكأنه منفلت، والاقليات وكأنها تسعى جديا الى الانفصال ، وانها تثور في الواقع ، ضد الفرس ، بينما القيادة الايرانية فارسية باجمعها ، والنزعات الفارسية هي استمرار للنهج الامبراطوري البائد ...

تحول في الموقف من التسلح ؟

ان عناصر مناوئة كثيرة داخل ايران تتبنى هذه الدعوات المضللة حول تحرك الاقليات لتحقيق مطلب الحكم الذاتي ، وضرورة الاستمرار في نهج استخدام القوة العسكرية لاعادة « استتباب الامن والنظام » في مناطق الاقليات المضطربة ، وبالتالي ضرورة تعزيز دور الجيش التقليدي . فهذه الدعوات تدفع بالسلطة الدينية الى الايغال في هذا النهج . وهذا من شأنه ان يعزز مكانة الجيش ، هيبته ، وقدراته ، وبالتالي تهيئته كالاداة الرئيسية للالتفاف حول السلطة الوطنية وضربها .

وقد برز هذا التوجه في دعوة رئيس الحكومة الدكتور بازركان ، في الاول من الشهر الجاري ، الى عدم الغاء صفقات السلاح من الولايات المتحدة ، والتي تبلغ قيمتها حوالي ٤٠ مليار دولار . وكانت صحيفة « كار » اليسارية قد نشرت في الاسبوع الماضي ما بدا انه صورة لرسالة سرية جدا ، موجهة من بازركان الى وزير دفاعه الجنرال رياحي ، يخوله فيها شراء قطع غيار لاسلحة الجيش الايراني المؤلفة في مجموعها من الصناعة الاميركية.

والملفت في هذا التوجه الاخير ، للحكومة الايرانية ، ان هذا الموقف هو نقيض ما كان يردده علامة نافذون في السلطة الايرانية ، عن النية بالتخلص من الاسلحة الاميركية المتراكمة في ثكنات الجيش الايراني ، وهو يعزز المخاوف التي يثيرها هذا النهج الذي تتبعه السلطة الدينية ازاء الجيش ، والذي يؤدي في نهاية المطاف الى تبني اسلوب استخدام القوة والاعتماد على الجيش لحل المشكلات الوطنية والقومية ، خاصة وان تكوينه وتسليحه والاسس المتبعة لاعادة بنائه تؤهله للعب هذا الدور ، بل وتؤهله لان يكون اداة الالتفاف على السلطة الوطنية واجهاض الثورة .

مم يتكون الجيش الايراني ، وما هي امكانياته ونفقاته ؟

يتألف الجيش الايراني من ٤١٣ ألف فرد ، يضاف إلى هذا العدد ٣٠٠ ألف فرد هم احتياطي الجيش و ٧٤ الف فرد احتسبوا كقوات عسكرية اخرى كالشرطة مثلا . ويتوزع الـ ٤١٣ ألف رجل على قوات المشاة ٢٨٥ ألف رجل ، والقوات الجوية ١٠٠ ألف فرد والتي تحتفظ بـ ٤٥٩ طائرة مقاتلة من بينها ١٨ طائرة من نوع أف - ١٥ الاميركية . و ٢٨ ألف رجل في القوات البحرية .

ولقد انفق على هذا الجيش أكثر مما تستطيعه اي دولة في العالم الثالث ، حتى وصل الانفاق كما صرح بذلك بازركان مؤخرا ، الى انه في السنوات الاخيرة تجاوز الـ ٤٠ مليار دولار . وتسجل مجلة « الميليتري بلانس » ما انفقه الشاه عام ١٩٧٨ فتذكر بأنه انفق على شراء الاسلحة فقط ٧٠٠٫٤ مليار ريال اي ما يعادل ٩٫٩٤ مليار دولار . ولقد اشترى الشاه كل ما غلى ثمنه من

الجنرال رحيمي مع حرسه الخاص في طهران: لديها طائرات لفرض الامن والنظام ...